

قراءة في كتاب غدامس عبر العصور، بشير قاسم يوشع غدامس مدينة الحضارة والتجارة والثقافة

الجامعة الدولية الرباط - المغرب

د. رضوان ضاوي

المستخلص:

يتمحور هذا المقال حول قراءة في كتاب «غدامس عبر العصور» للباحث الليبي بشير قاسم يوشع، حيث يركز علي أبرز ماورد فيه من عناوين ومعلومات تتحدث عن مدينة غدامس بداية بالتعريف بموقعها الجغرافي وإرثها التاريخي مع التعريف بأسماء المدينة قديما كما وردت عند المؤرخين الاسلاميين والمحدثين كما يبرز هذا المقال وصف مدينة غدامس من خلال هذا الكتاب. أورد الباحث فصول الكتاب وعناوينه بقراءة معمقة أكاديمية أوضح فيها قيمة الكتاب والكاتب، كما تضمنت قرائته أيضا إشارة إلي مؤلف آخر لبشير يوشع يحمل نفس الفكرة والاتجاه في إشارة واضحة إلي النسق الذي ينتهجه يوشع في تأريخه لمدينة غدامس وإبراز قيمتها التاريخية والثقافية والتراثية والمكانية.

Reading in a book: Ghadames Through the Ages, Bashir Qassem

Yousha Ghadames: The City of Civilization, Trade and Culture

Dr.. Radwan Daoui

Abstract:

This article is centrally about the Libyan researcher Bashir GhasimYousha's book (Ghadames across the ages).It focuses on the most prominent titles and narration in which the city of Ghadames is introduced. It starts with the geographical location of the city, its historical heritage, and specific interest in its old names, as mentioned by the Islamic and modern historians. The article also signifies the description of the city as depicted in the book. The researcher displays the chapters of the book and its titles through an attentive reading to emphasize the significance of the book and its writer. He also refers to another book written by the same author, Bashir Ghasim Yousha, whose ideas and methods are nearly the same in these two books in order to demonstrate the manner of the author in giving an account of the history of the city to set out its position, culture, heritage, and location.

هذا الكتاب:

صدر كتاب «غدامس عبر العصور» للباحث الليبي بشير قاسم يوشع عن المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ضمن سلسلة الدراسات التاريخية (120) بطرابلس/ ليبيا عام 2011، وعدد صفحاته 112، وتوزعت عدد صفحاته البالغة 112 صفحة على مقدمة وثلاثة فصول وهي: لمحة سريعة عن مدينة غدامس، وغدامس دويلة مستقلة حتى العهد العثماني الثاني، والمعالم الأثرية.

في الفصل الأول بعنوان «لمحة سريعة عن مدينة غدامس» يعرفنا المؤلف بمدينة غدامس التي تقع في جنوب غرب ليبيا، وتبعد عن طرابلس بحوالي ستمئة وعشرين كلومتر. ويعتقد ابن خلدون، اعتماداً على بعض الآثار القديمة، أن المدينة تأسست قديماً، أما المؤرخ الشيخ طاهر أحمد الزاوي فقد أطلق عليها في معجم البلدان الليبية أسماء ردامس ومدينة الجلود وسيداموس ووصفها بأنها من أقدم وأعرق الحضارات في المنطقة التي تشكل باب الصحراء الكبرى.ومن المؤرخين الأجانب الذين ذكروا المدينة المؤرخ اللاتيني بليني الأكبر المتوفى عام 79 ميلادية، فهو يذكر أن كيداموس هي ضمن المدن التي احتلها بجيشه في إفريقيا، بينما ذكر بطليموس أن اسمها

كوداموس ووصفها أنها مركز تجاري مهم. بينما يسمي المؤرخ بروكوبيوس القيصري غدامس كيدامي ويذكر أنه يعيش فيها شعب المور. وقد ورد وصف غدامس عند محمد بن عبد المنعم الحميري في كتابه «الروض المعطار في أخبار الأقطار» بأنها مدينة قديمة في الإسلام، ومعروفة بالجلد الغدامسي، وبوجود الكهوف، وكانت سجنًا للكهنة الإفريقية. أما في معجم البلدان للحموي فقد ورد أن المدينة عجمية بربرية تدبغ فيها الجلود الغدامسية الأجود، ومعروفة بعين الماء ذات بناء عجيب يخرج منه الماء. أما ابن بطوطة فقد ذكر غدامس حين أشار إلى أنه سافر ضمن قافلة كبيرة للغدامسيين ودليلهم. ثم ليون الإفريقي الذي ذكرها باسم كوداموس، ووصفها بأنها منطقة مأهولة، وسكانها تجار متعلمون ومحترفون ولدهم بساتين جميلة⁽¹⁸⁾.

نسجل بداية أن كلمة المور أطلقها الأوروبيون على المناطق الموجودة بين الساحل الإفريقي الشمالي والصحراء الشاملة للمغرب الأدنى والأوسط والأقصى. وأن المدينة عرفت أولاً بخمسة أسماء وهي: ردامس، وسيداموس، وكوداموس، وكيدامي، ويضاف إليها الاسم المحلي وهو عديمس، والاسم العربي غدامس. وفي هذا الإطار نشير إلى أن المؤلف لم يكتفي بعملية نقل المعلومات عن المدينة، ولكنه يصحح ويدقق في معلومات المؤرخين، ويفحصها بعين الشك العلمي، فهو يصف المعلومات التي قدمها بطليموس بأنها سطحية ولا قيمة علمية لها، وأنه ذكر تومبوكتو وعلاقتها بخدامس، رغم أن تومبوكتو لم تؤسس إلا في عام 1100 ميلادية (ص.16).

بعض الأساطير من غدامس:

توجد الكثير من الأساطير حول اسم غدامس، ولكن المؤلف رأى أنه لا فائدة من ذكرها جميعاً، واكتفى بنقل الأسطورة الأكثر شهرة عنها (ص.18). وارتبط اسم غدامس بأسطورة وردت في مخطوط زمام غدامس من ناقله مصطفى خوجة الطرابلسي، ومفادها أن قوم النمرود هم من أخرج ماء عينها، ثم أن قافلة بن كتعان بن سام بن نوح تناولوا غذاءهم هناك ثم افتقدوا بعض آلاتهم فقال أحدهم: نسيناها في غدانا أمس. ثم رجع فارس إلى الموضوع الأول فضربت الفرس برأسها فخرج الماء، فسميت بعين الفرس والبلاد سميت غدامس. وقيل إن هذا الأمر حدث في زمن سيف بن ذي يزن. كما ذكر اسم الملكة مورينا؛ وهو اسم لزعيمة الأمازونات في ليبيا، حيث هذه الأسطورة ما زالت بقاياها في الثقافة الشعبية حية، فما زال نساء غدامس يحيون ليلة مورينا، وهي أحد ليالي العرس (أنظر ص. 210 من كتاب غدامس صور وملامح) حيث تمجد مورينا في أغنية خاصة بها. (ص.19).

مدينة غدامس القديمة مستقلة:

ظلت غدامس مستقلة إلى أن توالى عليها غزوات الحفصيين ثم العثمانيين، حيث كانت المدينة تدفع لهم الضرائب والإتاوات مقابل الصلح. وقد تحولت غزوات الحكام العثمانيين إلى ابتزاز مالي في أرزاق أهل المدينة، ويقول المؤلف إن هذه المعلومة لم تدرج في كتب المؤرخين، لكنه

وجدها في وثائق سيتولى بنفسه نشرها، وقد ظلت المدينة موالية للعهد العثماني الثاني إلى أن احتلها الإيطاليون عام 1913، لكنهم انسحبوا سريعا من المدينة بسبب الثورة في الجنوب الليبي أواخر 1914. (ص.21). ويبقى أن الإيطاليين اكتشفوا أهمية غدامس فأعادوا احتلالها من جديد في فبراير 1915، وبقي الغزو فيها إلى يناير 1943 حيث خرج الغزاة من المدينة، لكن المدينة سقطت من جديد في يد الفرنسيين المحتلين للجزائر وبقوا فيها حتى عام 1956. وبعد 1969 واكبت المدينة التطور الذي عرفته ليبيا في العهد الجديد في كل المجالات كما يؤكد على ذلك المؤلف (ص.22)، ففي هذا العهد اهتمت المدينة بتراتها العريق وتكونت لجنة أصدقاء المدينة التي تعمل على الحفاظ على المدينة. وبخصوص اللهجة الغدامسية، يجمع الباحثون على وجود تشابه كبير بينها وبين لهجة واحة سيوه في مصر، حتى الحكايات الشعبية بخدامس تشير بوضوح إلى هذا التشابه (28). وقد ألف ريك بيتس، العالم البريطاني المتخصص في تاريخ الحضارة المصرية، كتابا بعنوان «الليبيون والشرقيون» (1914) بحث فيه في لغة الأمازيغيين ورأى أنهم من سلالة الليبيين القدماء، وانتهى إلى وجود عنصر ليبي في لغة المصريين، فبحكم قرب الموقع غدامس من ملتقى الحضارات: نجد تأثير تلك الحضارات الأجنبية خاصة المصرية.

ينكر المؤلف على الباحثين الذين يقولون إن الليبيين لم يعرفوا حضارة بناء المدن، ويقول إن هذا الرأي بعيد عن الصواب العلمي، ذلك أن أصحاب هذا الرأي هم أنفسهم من تحدث عن وجود ألواح منحوتة وصور في غدامس توثق لأشكال حضارية محلية: «فإن لم يعثر على مدن ليبية حتى الآن أفلا تكون هذه المدن مطمورة تحت الرمال وقد يعثر عليها يوما؟ ومن الأدلة التي ساقها المؤلف ليدل على وجود حضارة التشييد والبناء في غدامس وجود مبان لليبيين في العصور القديمة المتأخرة وجود قصر مقدول، وهو برج متوسط الحجم تحيط به بيوت اندثرت، ولكن معالمها ما زالت واضحة وتتوفر على بئر مع وجود أسطوانات ربما تكون قبوراً على بعد مئتي متر من البرج.⁽³⁰⁾

تشكل صبراته وطرابلس وليتس ماجنا إقليما واسعا حقق اتساعاً ورخاء كونه بوابة الصحراء أفادت منها غدامس وجرما من التجارة، تماما كما استفادت منها المدن الساحلية (32). أما القرطاجيين فقد كانوا موجودين في غدامس رغم أنهم بحريون، إلا أن أهمية هذه المدينة في تجارة الصحراء جعل القرطاجيين يعتبرون وجودهم في المدينة مصلحة ضرورية؛ وكانت غدامس على الدوام مدينة مهمة قبل تأسيس صبراته ولبدة وأوبا، ثم أصبحت أكثر أهمية بعد تأسيس هذه المدن الثلاثة. لهذا انصرف سكان المدينة إلى أعمال التجارة عبر الصحراء بوصفها أهم مرفق اقتصادي للغدامسيين، مستعملين الخيول، ثم الجمال، وشارك أبناء غدامس بقوة في القوافل التجارية عبر الصحراء في اتجاه غرب إفريقيا وإفريقيا الوسطى وحتى إلى باقي شمال إفريقيا. وكانت غدامس متصالحة مع الرومان بمنطق الإيجار لا بمنطق الاختيار، فقد استولى الرومان على المدن الساحلة واحتكروا التجارة التي هي عصب اقتصاد غدامس. وبخصوص الآثار الرومانية فإنها اليوم لم تعد

موجودة، إلا أن الغدامسيين كانوا يستعملون أرقاماً في معاملاتهم التجارية شبيهة بالأرقام الرومانية، ويعتقد المؤلف أن هذا هو التأثير الثقافي الوحيد المشترك الذي بقي إلى حد الآن. كذلك فقد وصلت الثقافة الإغريقية إلى غدامس، فقد عثر الرحالة الفرنسي دوفرييه، الذي زار غدامس عام 1860، على النقش المكتوب باللغة الإغريقية وعليه رسم ضئيل يمثل جواداً من النوع البونقي. إن ما يميز هذا الكتاب هو أن المؤلف يذكر أن بعض المعلومات الواردة عند الباحثين عن غدامس ما هي إلا آراء وتخمينات لا تغني عن العلم شيئاً، ويتأسف لأن أهل الاختصاص لم يقدموا بحوثاً جديدة تحسم مثل هذه القضايا الخلافية مثل نفي اهتمام الليبيين بالمباني وكون الحضارات المتعاقبة في المنطقة ليست حضارات محلية⁽³⁷⁾.

غدامس حتى العهد العثماني الثاني:

وتأكيداً لأسطورة غدامس التي ينبع صوتهها من أعماق التاريخ، وبعد أن كتب المؤلف نبذة عن الثقافة في غدامس ها هو يتحدث عن تاريخ المدينة المعاصر. فالمدينة تتشكل من ثمانية واحات كانت مستقلة عن بعضها البعض، ولكن تربطها علاقات اقتصادية واجتماعية متينة. ويجمع الباحثون على أن سكان غدامس هم من أصل مصري، وأن الآثار الحضارية ترجع في جزء منها إلى الحضارة المصرية القديمة، إلا أن المؤلف يرجح أن أهل غدامس هم من فزارة. يبدو من مرجعيات المؤلف إذن، أنه يستقي معلوماته عن غدامس من الحكايات الشعبية والأساطير باعتبارها نصوصاً أنثروبولوجية تحمل ملامح ثقافية وحضارية خاصة بالمدينة. فقد ظلت غدامس مستقلة على أن فرض عليها الحفصيون والأتراك الغرم دون تنصيب حاكم أجنبي عليها من الخارج حتى العهد القرمانلي. وأثناء العهد التركي توافد حكام ترسلهم السلطة المركزية إلى غدامس، ويلاحظ المؤلف أن إرسال الحكام إلى هذه المدينة لم يكن له مبرر أمني أبداً، بل كان الغرض منه هو التسلط الحكومي من أجل جمع الضرائب.

عوامل الاستقرار:

من خلال ما تقدم نرى أن غدامس تحيط بها ظروف طبيعية واستراتيجية صعبة، فهي مدينة معرضة لطمع الطامعين، وهي تعيش في وسط صحراء شاسعة وف مجتمع صحراوي قبلي وبدوي واشتهرت بالغنّى والترّف والقوافل التجارية التي تجوب إفريقيا الغربية والصحراء الواسعة، وهي فوق ذلك قليلة السكان، وتقع وسط منطقة قبلية قليلة الاستقرار، فكيف استطاعت غدامس أن تصمد وهي بهذه المقومات المتناقضة والصعبة؟

يجيب المؤلف عن هذا السؤال من خلال استعراضه لعدة عوامل ساعدت في هذا

الاستقرار، ومنها:

أولاً: تعطي المساكن القديمة في غدامس إمكانيات دفاعية مهمة إذا اقتحم العدو المدينة، كما تقدم عدة مزايا طبيعية واجتماعية ودينية، فالمنازل متلاصقة لا يفصل بينها سوى أزقة وشوارع

وميادين، وهي جميعها مسقوفة لكنها تتيح الهواء والضوء من خلال فتحات (49-50).

ثانياً: نظم سكان غدامس أنفسهم في اتحادات وتجمعات تسمى الشوارع، وتتنوع على مجالس في إطار مجلس الاتحاد العام، ودورها مناقشة سبل مواجهة الغزو الأجنبي والأزمات التي تعصف بالمدينة.

ثالثاً: يعتبر القاضي الحاكم الفعلي والمباشر للمدينة يساعده في ذلك مفتي يتبع القضاء المذهب المالكي. ويعمل مجلس الاتحاد العام على انتخاب القاضي والمفتي، وفي العهد العثماني تم تعيينهما من خارج المدينة.

رابعاً: يقوم بدور شرطة المدينة شباب المدينة، ويتعاملون بالخصوص مع الأجانب الذين يقومون بأعمال منافية للقانون.

خامساً: نظام التضامن عمل تكافلي ثابت عند أهل غدامس من خلال تقديم الهدايا في مناسبات الولادة الحديثة أو العرس أو شهر رمضان، إضافة إلى التضامن العملي.

سادساً: يسمى المحليون عين الفرس «غسوف»، وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه، ولها نظام فريد معروفة به، وفي غدامس تنتشر زراعة النخل والأشجار مع تنظيم دقيق لعمليات الحرث والحصاد مع الاستفادة من عين الفرس وباقي العيون المائية على ندرتها.

سابعاً: تعود تجارة غدامس مع وسط وغرب إفريقيا وبقية شمال إفريقيا إلى العهد الإغريقي، لكنها توقفت مع المد الإستعماري الذي حول الطرق التجارية البرية إلى بحرية. وكما تقدم في هذا المقال، فقد ذكر ابن بطوطة أنه رافق قافلة غدامسية عام 1355. كما اشتهرت المدينة بالصناعة الفضة والجلود والفخار والصوف والخزف ومشتقات النخيل.

ثامناً: انطلاقاً من مثل شعبي للغدامسيين الذي يقول: «ثلاثة لا يستغنون أبداً: بيع البشر وقطاع الشجر وحراق الحجر»، تجنب التجار الغدامسيون تجارة الرقيق لأسباب دينية واقتصادية، فهي كما يقول المؤلف بضاعة غير مرغوب فيها. ولا يغامر المؤلف بإهمال موضوع الرقيق دون أن يدلي فيه برأيه، فيقول إن تقارير الأوروبيين يضخم ويهول تجارة الرقيق عند المسلمين، لكن الرق عند المسلمين كان أرحم بكثير مما كان عند الأوروبيين. ولأن المجتمع الغدامسي كان مترفا بسبب ازدهار التجارة، فانتشرت فيه سلوكيات غير صحيحة، لكن المجتمع المحلي واجهها بصرامة وقوانين غدامس عرفية غير مكتوبة لكنها تمارس وتنتقل من الكبير إلى الصغير، وهي عبارة عن رزمانية من السلوكات الحسنة.

تاسعاً: جل العرافين في غدامس أصلهم من إفريقيا الغربية، وقد عرفت غدامس العرافين والدجالين وأتباع الطرق الصوفية. كما عرفت غدامس شعبين يعالجون بالطرق التقليدية الناس، بالكي والأعشاب الطبية. كما مارست النساء مهنة القابلة، وقد شهد لكل هؤلاء بالمهارة والإخلاص في عملهم حتى بعد وجود أطباء رسميين في العهد الفرنسي، وما زال الطب الشعبي مستمرا حتى اليوم.

عاشراً: تعتبر الأساطير مكوناً أساسياً في الثقافة الشعبية لغدامس، وقد قام المؤلف بنشر بعضها في مجلة الفصول الأربعة وفي كتاب «قصص وأساطير وحكايات شعبية» (مخطوط)، وتوجد بالمدينة فرق موسيقية كثيرة بغدامس، وبعض هذه الفرق تمتد جذورها إلى إفريقيا الغربية. وتعرف المدينة مجموعة من الفرق الصوفية منها القادرية والسلامية والعيساوية والسوسية والتيجانية، ولكل منها طقوسها وأتباعها. ولغدامس مطبخ محلي، وبها أكثر من 21 نوعاً من الخبز، والطبخ المحلي له جذور ممتدة إلى إفريقيا الغربية.

وفي الماضي كان الغدامسيون يولون الذكر الطفل عناية خاصة، وكان التعليم من نصيب الذكور فقط (في الزاوية القرآنية) وقد يبعث به إلى الزيتونة أو الأزهر. أما الألعاب فهي متاحة للذكر والأنثى. وهي متنوعة، ويسمح للبنات الصغيرة اللعب خارج البيت، أما البنات التي وصلت للمرحلة الانتقالية بين الطفولة والبلوغ فتلتزم البيت ولها أن تلعب في سطح المنزل. وتعتبر المرأة أول وسيلة إعلامية مضمونة وموثوقة في غدامس، فهي تستطيع الانتقال بين أسطح المدينة بسهولة مستعملة لكل مناسبة أو حادثة أغنية أو صوت محدد وخاص بها: فلحفلة المولود الجديد أغنية وللزواج أغنية ولل وفاة أغنية. وتعتبر العائلة وحدة إنتاجية تقوم على شركة عائلية بين الأب والابن في التجارة والزراعة والصناعة. أما المرأة فهي تهتم بأمور البيت. ويهتم المجتمع الغدامسي بالمرأة العجوز، فهي موقرة تبقى في بيت زوجها الميت أو عند ابنها الأكبر.

وقد وثق المؤلف العادات والاجتماعية في كتابه «غدامس ملامح وصور» وكتاب «غدامس وثائق تجارية وتاريخية واجتماعية».

علاقات غدامس مع بعض بلدان إفريقيا:

من خلال هذا الاستعراض الموجز عن النظام الداخلي يتصور المؤلف أن غدامس لم تكن يوماً مدينة مستقلة عن طرابلس أو تونس، حتى لو أنها لم تدفع الضرائب إلا في العهد الحفصي ثم العثماني. وكان الغدامسيون نادراً ما يحملون السلاح ويلجئون إلى الدفاع عن أنفسهم بالقتال، فقد كانوا ميالين للسلام، وبالتالي كانوا يتجنبون الحروب بإبرام معاهدات صلح وسلام مع دفع الإتاوة. وبشكل عام لم ينجح الأعداء في اقتحام المدينة باستثناء الحفصيين. وتوجد في تونس جالية غدامسية مهمة حتى اليوم. ورغم إمكانيات المدينة الكبيرة إلا أنها لم تتطور، ويرجع المؤلف السبب على أن معظم أراضي المدينة غير صالحة للزراعة بسبب قلة الأمطار وندر العيون المائية. ويقول المؤلف إن الغدامسيين تجنبوا الغزو ونهب قوافلهم بدفعهم للإتاوات للطوارق وحكام إفريقيا الغربية، وعقدتهم لاتفاقيات سلام معهم.

ربطت غدامس علاقات كثيرة ومتعددة مع كل المدن التي كانت تتاجر معها في السودان غرب إفريقيا، وكانت التجارة تمتد عبر طرق المغرب إلى السودان والبحر الأبيض المتوسط عبر طريق طرابلس وغات وتشاد وطريق تافيلالت وعين صالح ومبكتو. وكانت غدامس مركز استراحة

القوافل، إلا أن هذه التجارة عبر الصحراء قد تضررت ثم توقفت نهائياً بسبب الحدود التي وضعها المستعمر الفرنسي بين الدول.

الوضع الثقافي والمخطوطات:

استقينا أفكار هذه الفقرة من كتاب «فهرس مخطوطات غدامس»، لبشير قاسم يوشع، وهو من منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي- ليبيا، 1986. ففي مقدمة هذا الكتاب يذكر المؤلف أن غدامس تقع في الجنوب الغربي من الصحراء الليبية الشاسعة. وتتمتع هذه المدينة بإرث حضاري قوامه مساهمتها في الاقتصاد الليبي، وكونها بوابة الصحراء الكبرى ومركزاً تجارياً هاماً، ومعبراً للقوافل المارة عبر إفريقيا الغربية والوسطى، ثم مركزاً من مراكز نشر الإسلام والعلم في إفريقيا⁽⁷⁾.

وواقع الأمر أن للإنتاجات العلمية الخاصة بهذه المدينة ملامح كثيرة نذكر أهمها كما جاءت في مقدمة الكتاب:

- في القرن الثاني للهجرة تتلمذ أحد أبناء المدينة في البصرة وعاد إلى غدامس ليؤسس أول مدرسة علمية.
- من طلبة هذه المدينة نجد الشيخ محمد بن يانس الذي أسس بدوره مدرسة في جبل نفوسة، وبقيت حتى القرن الحادي عشر هجري.
- في القرن الثالث هجري نجد العالم أبو الفضل العباسي بن محمد الصواف، أحد المتعبددين وفقهاء القيروان.
- تكوين عدة مكاتب ومدارس ساهمت في الانبعاث الثقافي في غدامس.
- وجود مجموعة من المخطوطات في البيوت وفي مساجد الجمعة والزوايا القرآنية والصوفية.
- وجود ما لا يقل عن اثني عشر كتاباً لتحفيظ القرآن الكريم والمتون وحلقات الدروس بمساجد الجمعة.
- وظيفة مساجد الجمعة لا تقتصر فقط على العبادة، ولكنها تقوم مثلها مثل الجامع العتيق وجامع يونس بدور المدارس المجانية ويكون التدريس في الزوايا والمساجد تطوعية.
- اتاحة الفرصة لمن يريد من الغدامسيين الاستزادة في العلم السفر إلى الزيتونة أو الأزهر ثم العودة إلى مدينته لينشر فيها العلم.

ورغم اجتماع ثلاثة عوامل هي الجهل والتفريط والتسلط الأجنبي على المخطوطات الغدامسية، مما تسبب في ضياع الكثير منها، إلا أن جهود أبناء المدينة ثم مركز جهاد الليبيين في الحفاظ عليها، ساعد المؤلف على إنجاز هذه الببليوغرافيا الموثقة التي تضم 406 مخطوط

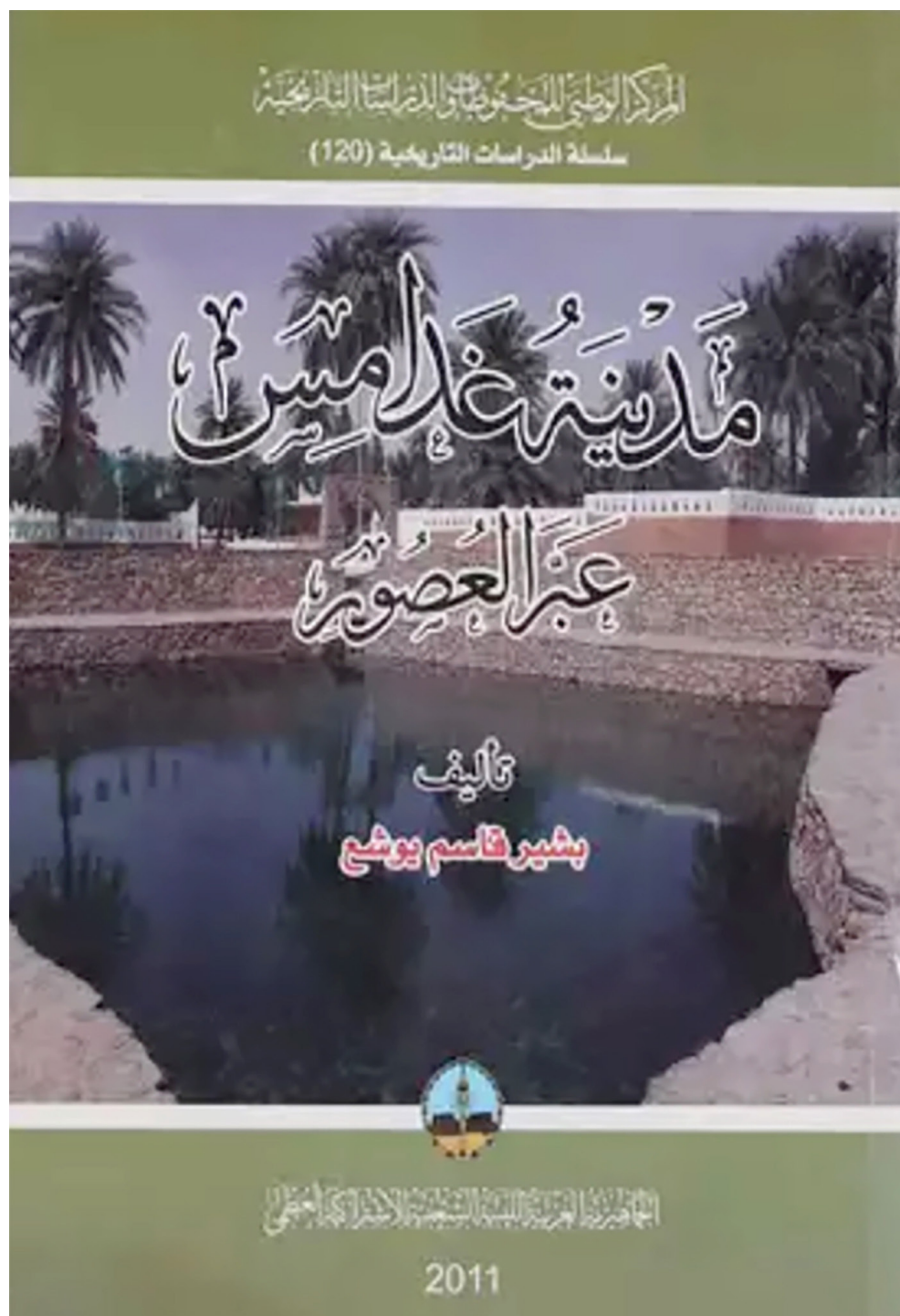
فقط، لأنه لم تتم بعد اجراء مسح شامل وكامل لمخطوطات غدامس، وهو يتوقع وجود أكثر من ألفي مخطوط إذا قامت الجهات المختصة بمسح شامل ودقيق لهذا الكنز العلمي المهم.

المعالم الأثرية:

ركز المؤلف في حديثه عن المعالم الأثرية لمدينة غدامس على المدينة القديمة ووصفها من الداخل، حيث ذكر مميزات البناء العتيق للمدينة وأن هذا النمط من البناء يوفر للمدينة الهواء والضوء من خلال فتحات توجد في سقف البيوت والشوارع، كما يوفر برودة في الصيف ودفئا في الشتاء، لكنه على العموم يمنع عن المباني الضوء ويحبس فيها الرطوبة. وتعتبر منازل غدامس كتلة واحدة متراسة ومتناسكة مما يسهل تحرك المرأة على السطح بحريتها المطلقة (كتاب ملامح وصور ص. 73). ويفسر المؤلف لجوء السكان لهذا النوع من الهندسة المعمارية بأن سكان المدينة صحراويون يعيشون ويعملون في فضاء مفتوح طوال اليوم، فيفضلون حين يرجعون إلى بيوتهم الرطوبة والعتمة، لأنها أخف الأضرار، ولأن حياتهم اليومية يقضونها كلها في أعمال خارجية مثل الزراعة والتجارة، أما النساء فيقضين تجمعاتهم في الفضاءات الواسعة المفتوحة، فلا أقل من أن يكون فضاء مأواهم بيوت مغطاة بالكامل. وفيما يخص المرافق الدينية يعد المؤلف أكثر من سبعة وثلاثين مسجدا وعشرين زاوية قرآنية وطرقية، ويعتبر المسجد الجامع والعتيق وجامع يونس وجامع تندردين وجامع عمران الفقيه وجامع عون الله أهم هذه المساجد. ومن المزارات التي ذكرها المؤلف في المدينة سوق القادوس أو السوق القديم ومحلة وازيت وساقية عين الفرس والمساجد العتيقة، ومقر الحكام الأتراك ومسجدهم، ومقر ثكنتهم التي لم يبق من آثارها سوى القليل، ثم محلة الوليد وما تتوفر عليه من مساجد وأسواق وبوابات عتيقة.

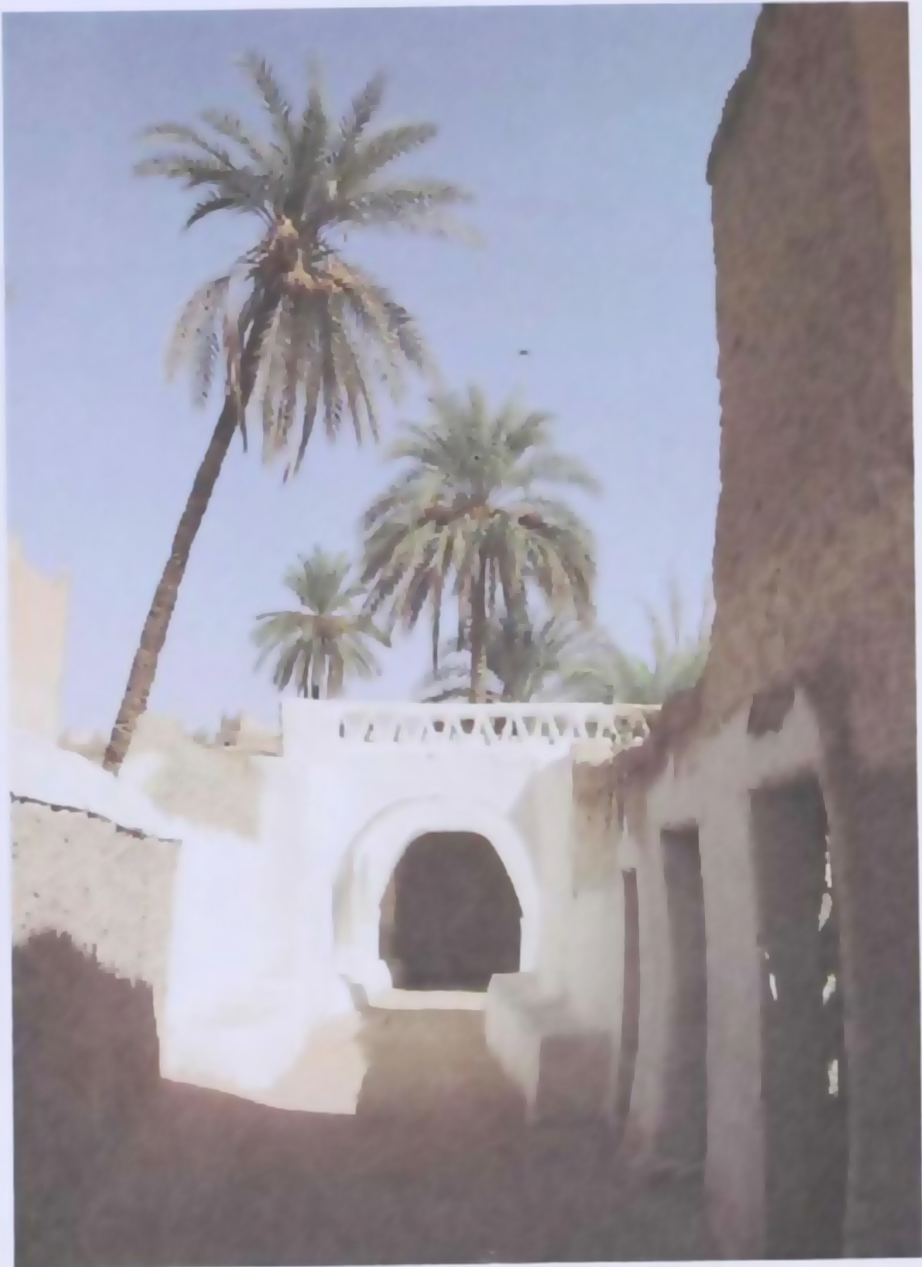
على سبيل الختم:

قدم لنا المؤلف بشير قاسم يوشع مؤلفات قيمة عن مدينة غدامس، وهو بهذا خدم تاريخ المدينة المحلي، في ارتباطه وانفتاحه على محيطه، مما ينفي عن مدن الصحراء صفة الانغلاق. إن نموذج غدامس مثال على أن المجتمع الصحراوي مجتمع يحتفظ بتاريخه المحلي وثقافته المحلية، لكنه لا يغلق بابه في وجه الثقافات العابرة للحدود. إنه مجتمع واعي ومثقف وحضاري، ترك لنا من الآثار والشواهد ما يفتح شهية الباحثين والدارسين للتاريخ المحلي والتراث والثقافة الشعبية، من أجل الاشتغال على مواضيع علمية تمس جوهر الدراسات الثقافية المقارنة، ألا وهو دراسة الثقافة الشعبية بكل عناصرها ومكوناتها. ونقدم هنا صورة غلاف الكتاب مع بعض الصور لمدينة غدامس والتي وضعها بشير قاسم يوشع في كتابه لتوضيح جزء من معالم وتاريخ المدينة.





أحد أسواق غدامس القديمة المسمى سوق أمزي



أحد المداخل الداخلية للمدينة القديمة
(المسمى انديغليف)



عين الفرس وكانت تروي حوالي 80% من المزروعات في مدينة غدامس



أحد المجالس بالمدينة القديمة
(المسمى تمقدولت)